

## بسم الله الرحمن الرحيم مشيئة الله واختيار الإنسان

كلّ شيء يجري بتقدير الله ومشيئته، ومشيئته تنفذ، ولا مشيئة للعباد إلا ما شاء لهم، فما شاء لهم كان، وما لم يشأ لم يكن.

فهذا الكون كَوْنُ الله تعالى، ولا يَقَعُ شيء إلا بِمَشِيئَةِ الله تعالى، ولا يستطيع عبْدٌ مهما كان كبيراً أن يفعل شيئاً ما أَرَادَهُ اللهُ، وإنّ كلّ شيء وقع أَرَادَهُ اللهُ تعالى، وكلّ شيء أَرَادَهُ اللهُ وَقَعَ، وإرادة الله تعالى مُتَعَلِّقَةٌ بِالْحِكْمَةِ الْمَطْلُوقَةِ، وَحِكْمَتُهُ الْمَطْلُوقَةُ مُتَعَلِّقَةٌ بِالْخَيْرِ الْمَطْلُوقِ، فَكُلُّ شَيْءٍ يَجْرِي بِتَقْدِيرِهِ وَمَشِيئَتِهِ، وَمَشِيئَتُهُ تَنْفُذُ لَا مَشِيئَةَ الْعَبْدِ، فَمَا شَاءَ لَهُمْ كَانَ وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ.

وهذا الكلام يحتاج إلى توضيح، فَمَشِيئَةُ اللهِ تَسْتَوْعِبُ مَشِيئَةَ الْعِبَادِ، فَأَنْتَ مُخَيَّرٌ، ثُمَّ أَرَادَ إِنْسَانٌ فَاجِرٌ وَفَاسِقٌ أَنْ يَسْرِقَ، فَأَرَادَ اللهُ لَهُ أَنْ يُحَقِّقَ لَهُ اخْتِيَارَهُ، فَمَشِيئَةُ الْإِنْسَانِ تَعَلَّقَتْ بِالسَّرْقَةِ، وَلِأَنَّ الْإِنْسَانَ مُخَيَّرَ تَعَلَّقَتْ مَشِيئَةُ اللهِ تَعَالَى بِتَمَكِينِهِ مِنَ السَّرْقَةِ، وَلَكِنَّ الله تَعَالَى يُنْسِقُ؛ إِسْرَاقٌ مِنْ هَذَا!! فَهُوَ يُحَقِّقُ لِهَذَا السَّارِقِ مَشِيئَتَهُ، وَيُؤَدِّبُ هَذَا الْمَسْرُوقَ، وَالظَّالِمَ سَوْطَ اللهِ يَنْتَقِمُ بِهِ ثُمَّ يَنْتَقِمُ مِنْهُ، وَهَذَا الْكَلَامُ مَعْنَاهُ أَنَّ مَشِيئَةَ اللهِ تَسْتَوْعِبُ مَشِيئَةَ الْإِنْسَانِ، فَلَمَّا يَسْرِقُ هَذَا الْكَافِرُ أَوْ يَقْتُلُ فَهُوَ مَا فَعَلَ إِلَّا مَا أَرَادَهُ اللهُ تَعَالَى، لِحِكْمَةِ الْبَالِغَةِ، حَقَّقَ لِهَذَا مَشِيئَتَهُ لِأَنَّهُ مُخَيَّرٌ، وَأَدَّبَ بِهِذِهِ الْمَشِيئَةَ بِقِيَّةِ خَلْقِهِ، وَهَذَا هُوَ التَّنْسِيقُ، وَكُلُّ شَيْءٍ يَجْرِي بِتَقْدِيرِهِ وَمَشِيئَتِهِ، وَمَشِيئَتُهُ تَنْفُذُ، وَلَا مَشِيئَةَ لِلْعِبَادِ إِلَّا مَا شَاءَ لَهُمْ، فَمَا شَاءَ لَهُمْ كَانَ وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ، فَالشيء إذا وَقَعَ يَعْنِي أَنَّ الله تَعَالَى قَدْ شَاءَهُ، وَإِذَا اخْتَرْتَ شَيْئاً وَنَفَذْتَ مَا سَنَنْتَ فَالْمَعْنَى أَنَّ خَطَاةَ اللهِ اسْتَوْعَبَتْ مَشِيئَتَكَ، فَمَا كَانَ لَكَ أَنْ تَشَاءَ، وَأَنْ تُحَقِّقَ مَا تَشَاءَ؛ لَوْلَا أَنَّ الله تَعَالَى شَاءَ لَكَ أَنْ تُحَقِّقَ مَا تَشَاءَ، فَأَنْتَ تَبْقَى مُخَيَّراً، وَلَكِنْ فَعَلَكُ يُنْسَقُ مِنْ قِبَلِ اللهِ تَعَالَى.

أنت مُخَيَّرٌ، وَمَشِيئَتُكَ لَا تَتَحَقَّقُ إِلَّا أَنْ يَسْمَحَ لَكَ اللهُ تَعَالَى، فَالْفِعْلُ فِعْلُهُ وَلَا يُحَقِّقُ لَكَ مِنْ مَشِيئَتِكَ إِلَّا مَا يَشَاءُ وَمَشِيئَتُهُ مُقَنَّةٌ بِكَمَالِهِ، فَالْقَضِيَّةُ لَيْسَتْ مَزَاجِيَّةً.

فأنت لك مشيئة لكن هذه المشيئة تفتقر إلى فعل، والله عز وجل فعّال لما يريد أما أنت وأنا نشاء ولا نفعل، فمثلاً أتمنى أنا أن يكون معي ألف مليون، ولكن لا أستطيع، إلا أن الله تعال فعّال لما يريد، ومشيئة الإنسان يتحقق منها ما يريد الله تعالى فإذا انقلبنا إلى فعل، فَمَشِيئَةُ اللهِ تَعَالَى شَاءَتْ أَنْ تَقَعَ هَذِهِ الْمَشِيئَةُ، فَتُنْفِذَ الْمَشِيئَةَ تَحْتَاجُ إِلَى مَشِيئَةِ اللهِ تَعَالَى. فَأَنْتَ سَمِحَ لَكَ أَنْ تَخْتَارَ، وَشَاءَتْ مَشِيئَةُ اللهِ أَنْ تَكُونَ أَنْتَ ذَا مَشِيئَةٍ، فَأَنْتَ مُكْرَمٌ، أَمَا كُلُّ الْخَلْقِ فَمُسَيَّرُونَ؛ الْحَيَوَانَ وَالْمَلَائِكَةَ وَالْجَمَادِ؛ إِلَّا الْإِنْسَانَ وَالْجِنَّ الَّذِينَ شَاءَتْ لَهُمَا مَشِيئَةُ اللهِ أَنْ يَشَاوُوا.

قال تعالى:

﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾

هناك مثلٌ أَوْضَحَهُ لَكُمْ كَثِيرًا، وَأَذْكَرُهُ كَثِيرًا، أَنْتَ صَيِّدِي وَتَطْلُبُ مُوَظَّفًا عَلَى مَسْتَوَى عَالٍ مِنَ الثَّقَافَةِ، وَأَرَدْتَ أَنْ تَمْتَحِنَهُ، فَاتَّيْتِ بِكَمِيَّةٍ مِنَ الدَّوَاءِ، وَقُلْتَ لَهُ: ضَعْ هُنَا الْفَيْتَامِينَاتِ، وَهُنَا الْحُبُوبِ، وَهُنَا السُّمُومِ، ثُمَّ قُلْتَ لَهُ: وَرِّعْ هَذِهِ الْأَدْوِيَّةَ! فَلَوْ أَنَّهَ وَضَعَ الْفَيْتَامِينَاتِ مَعَ السُّمُومِ، وَمَنْعَتَهُ مِنَ الْإِتْمَامِ فَأَنْتَ لَمْ تَمْتَحِنِي! لَكِنَّكَ تَشَاءُ لِي أَنْ يَنْحَرِكَ خَطَأً، لِأَنَّهُ فِي مَوْطِنِ الْإِمْتِحَانِ، فَاللَّهُ تَعَالَى مَا أَمَرَ بِالْكَفْرِ، فَإِنْ كَفَرَ شَخْصٌ فَهُوَ تَعَالَى أَرَادَ وَلَمْ يَرْضَ، وَمَعْنَى أَرَادَ أَي سَمَحَ.

فَالْمَشِيئَةُ شَيْءٌ وَأَمْرُهُ وَرِضَاهُ شَيْءٌ آخَرَ، فَأَحْيَانًا يَكُونُ الْأَبُ مُتَّقَفًا ثَقَافَةً عَالِيَةً، فَيَكُونُ كُلُّ طُمُوحِ الْأَبِ أَنْ يَكُونَ ابْنُهُ مُتَّقَفًا، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ يَضَعُهُ فِي صَنْعَةٍ يَتَعَلَّمُهَا، فَالْأَبُ شَاءَ لَهُ الْعِلْمَ، وَلَمْ يَرْضَ لِابْنِهِ أَنْ يَكُونَ صَاحِبَ صَنْعَةٍ، بَلْ صَاحِبَ ثَقَافَةٍ دَرَسِيَّةٍ، فَأَكْبَرَ خَلَطَ أَنْ تَظُنَّ أَنَّ مَشِيئَتَهُ هِيَ عَيْنُ رِضَاهِ، وَأَنَّ مَشِيئَتَهُ عَيْنُ أَمْرِهِ! لَا، ثُمَّ لَا، هَلْ يَجُودُ أَبٌ يَتَمَنَّى لِابْنِهِ عَمَلِيَّةً جَرَّاحِيَّةً؟ وَلَكِنَّهُ يَرْضَاهَا لَهُ، فَمَشِيئَتُهُ غَيْرُ رِضَاهِ وَغَيْرُ أَمْرِهِ.